الكتاب اللبناني

بمناسبة المعرض الذي أقيم بالقاهرة

لا شك في أن إخواننا اللبنانيين كانوا من أسبق أدباء العربية عناية بالطباعة ، وإذا كانت المطبعة الأهلية التي أنشأها في القاهرة مؤسس دمر الحديثة قد أصدت الكتاب العربي أيادي لا تجحد من العناية بالطبع والإخراج الصحيح ، فإن الآباء اليسوعيين مثل هذا الفضل ، فقد بذلوا من الجهد في التنقيح ، والعناية بمظهر الكتاب ، وإبرازه في أحسن حلة لم يسبق لها مثيل في الشرق ما جعل لمطبوعاتهم من المكانة والتقدير ما هي جديرة به .

وكان لنشاطهم أثر ملحوظ في النهضة الأدبية امتد إلى هذا العصر . . . ولقد نقل اللبنانيون معهم في كل مكان هاجروا إليه بذور هذه النهضة ، وما زالوا بها حتى أثمرت وخلدت على رغم الزمن ، وثبتت جذورها وامتدت أغصانها فأظلت كل ضروب الثقافة .

وتاريخ النهضة الفكرية مدين في كثير من نواحيه إلى أعلام نبتوا في ظل الأرز الخالد . هذه حقيقة لا نجد إنكاراً ولا نصادف جحوداً .

ولقد كنا — نحن المصريين — من أكثر الناس إعجاباً بكل أثر فكري ينتجه عقل لبناني . ولكن إخواننا اللبنانيين كانوا أكثر الناس عتباً علينا ، ناسبين إلينا التقصير عن الإشادة بما ينتجون . . . ولكنني كنت أمر بهذا العتاب مطمئن الضمير ، لأني كنت من السباقين في الكتابة عن معظم آثار الفكر اللبناني التي ظهرت خلال الخمسة عشر عاماً الماضية ، وكانت هذه المجلة في مقدمة المرحبين بهذه الآثار والكتابة عنها .

نعم ، قد يكون هناك تقصير من بعض الصحف والمجلات في تناول كثير مما تخرج المطبعة العربية ، وقد تكون هناك شكوى من هذا التقصير في حق النهضة الأدبية ، ولكن هذا التقصير وتلك الشكوى منه ، ليس بالواقع أثره على أدب بعينه ، ولكنه تقصير لحق حتى بما تنتج المطبعة في مصر ، والشكوى التي يرددها إخواننا في لبنان يشكو منها أدباؤنا من تقصير الصحافة المصرية في تناول آثارهم . . .

وقد يجرّنا القول هنا إلى إثارة ذكرى كثير من أدبائنا مصرعن عدم العناية بدراسة آثارهم في صحف لبنان ، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنه إذا كان هناك تقصير ، فإن هذا التقصير ليس بالمتعمد ، أو ليس مقابل التصنيع بالتصنيع . وقد يكون مردّه إلى طغيان المسائل السياسية وضيق الصفحات بسبب ظروف الحرب الطارئة .

هذه كلمة أردنا أن نقدم بها كلمتنا عن معرض الكتاب اللبناني الذي أقيم بالقنصلية اللبنانية في القاهرة ، وافتتح في اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس الماضي بحضور كثير من الشخصيات البارزة في البلاد العربية وكثير من أعلام الأدب والمعنيين بالثقافة العربية ، لأن من العوامل الأولية في إقامة هذا المعرض بمدينة القاهرة للكتاب اللبناني ، تلك الذكرى التي أشرنا إليها .

فلقد أشير في مقدمة الدليل الذي صنّف بمناسبة هذا المعرض إلى هذا السبب حيث جاء فيها : « تلاحظ جمهرة الكتّاب في لبنان أن الكتاب اللبناني في مصر مغمور ومحاط بالغموض ، ولعلّ الخطأ في ذلك يرجع إلى نقص في تنظيم النشر أكثر مما يعود الى عدم إقبال القرّاء المصريين » وإن كان قد أشير كذلك إلى أن إقامة هذا المعرض غرض من الأغراض التي عمل القائمون به على العمل في سبيل تحقيق الغاية التي تدعو إليها اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية من تقوية الروابط الثقافية بين الدول الناطقة بالضاد .

ولقد كانت الفكرة التي خطرت للأستاذ مصطفى عبد الباسط فتح الله صاحب مكتبة الكشاف ومطبعتها في بيروت فكرةً جميلةً أحسن الى الثقافة العربية حين عمل على تنفيذها بإقامة هذا المعرض ، كما أنه كان أجمل من هذه الفكرة وتنفيذها وأروع منهما ، هذه الروح الطيبة التي دفعته إلى العناية بإبراز معظم المطبوعات اللبنانية التي أصدرتها دور نشر أخرى غير داره هو ، ناظراً في ذلك الى تحقيق الغاية النبيلة التي تقام من أجلها مثل هذه المعارض ، ولم يقتصر ذلك على ما ظهر من الكتب في لبنان وحده ، بل تعدّى ذلك الى عرض جميع ما ظهر للكتّاب اللبنانيين أو الذين من أصل لبناني في بلاد أخرى .

وكان الدليل الذي قام بنشره مما تدعو الحاجة إلى إخراجه — ولو أنه في حاجة الى مراجعة كثيرة وإلى إضافات كثيرة ، لعلّ الظروف تساعده على إعادة نشره على ضوء

ما يهتدي إليه وفي مظهر أكثر فائدة للاشتغال بالثقافة العربية وتأريخها حتى يكون مرجعاً دقيقاً لهم .

على أنه قد بدت لنا بعض أشياء لاحظناها خلال طوافنا بهذا المعرض ، لعلَّ في مقدمتها عدم عرض المنشورات الدورية التي تصدر في لبنان من صحافة يومية أو أسبوعية أو شهرية ليتعرَّف إليها القارىء المصري الذي لم يستطع الإحاطة بها أو الحصول عليها . كما انه كان من الجدير أن تعرض بعض أعداد مما صدر من صحافة لبنانية في مصر او في الاقطار التي هاجر إليها اللبنانيون أو ما ظهر في لبنان في الجيل الماضي أو القريب من عهدنا الحاضر .

وقد يُرَدُّ على ذلك بأن المعرض خاصٌّ بالكتاب اللبناني ، ولكن ليست كلمة الكتاب قاصرة على ذلك ، فكل ما انطوى على ثقافة فهو كتاب .

كما أنه قد بدا شيءٌ من التقصير في عرض كثير من الآثار التي أخرجتها المطابع اللبنانية في أمريكا ، وكان واجباً — وقد استعير بعض هذه المؤلفات من دار الكتب المصرية — أن يكون العرض شاملاً لتلك المؤلفات ولو عن طريق الاستعارة أيضاً .

ولا ينهض عذراً للاستاذ مصطفى فتح الله ما أشار اليه في مقدمة الدليل من أنه لا يدعي أنه حصر « بهذا المعرض وبهذا الدليل جميع الكتب التي ألفها لبنانيون أو التي صدرت عن المطابع اللبنانية ، إذ أن هذا واسع جداً ومتنوع في لغات متعددة ، وغير محصور في الوطن الأم ، بل هو منتشر في أنحاء الدنيا حيث المغتربون اللبنانيون » بدعوى أن هذه محاولة أول في هذا المضمار . لأنه كان في استطاعته وقد لقي من حكومته كل تقدير ومساعدة مادية ومعنوية أن يسعى إلى إتمام هذه المحاولة وإبرازها كاملة .

كما لوحظ أن هناك كتباً عرضت ليس مؤلفوها لبنانيين أو عرف عنهم أنهم من أصل لبناني ، ومن الأمثلة على ذلك كتاب « في الحياة والأدب » للأستاذ سلامه موسى .

على انها بالرغم من هذا كانت فكرة طيبة ، وكانت غاية نبيلة ، وكانت فرصة سعيدة للقارىء المصري ظفر بها في التعرف الى تلك النهضة الفكرية الحديثة التي ظفر بها لبنان الشقيق ، وهي امتداد للنهضة العريقة التي حققها أدباء ذلك الوطن في الجيل الماضي .

حسن كامل الصيرفي